مدخل الى علم الآثار ..... د.صلاح هاتف

الاثار هو علم يختص بدراسة البقايا المادية التي خلفها الأنسان ويبدا تاريخ دراسة علم الأثار ببداية صنع الأنسان لأدواته (القواطع والادوات القاطعة الحجرية)، وربما سمي علم العاديات نسبة إلى قبيلة عاد البائدة، وهو دراسة علمية لمخلّفات الحضارة الإنسانية الماضية. وتدرس فيه حياة الشعوب القديمة. وتشمل تلك المخلفات أشياء مثل: المباني والعمائر، والقطع الفنية، والأدوات والفخار والعظام. وقد تكون بعض الاكتشافات مثيرة، مثل قبر فيه حُلي ذهبية، أو بقايا معبد فخم. إلا أن اكتشاف قليل من الأدوات الحجرية أو بذور من الحبوب المتفحمة، ربما يكشف بشكل أفضل عن جوانب كثيرة من حياة الشعوب. وتوثيق أنواع الأكل المستخدمة قديما، ما يكشف أوجه الشبه بين حياة أولئك القوم وحياتنا الحالية. وما يكتشفه عالم الآثار، بدءًا من الصروح الكبيرة وانتهاء بالحبوب، يسهم في رسم صورة عن معالم الحياة في المجتمعات القديمة. إن البحث الآثاري هو السبيل الوحيد لكشف حياة المجتمعات التي وُجدت قبل اختراع الكتابة منذ خمسة آلاف عام تقريبًا. كما أن البحث الآثاري نفسه يشكِّل رافدًا مهمًا في إغناء معلوماتنا عن المجتمعات القديمة التي تركت سجلات مكتوبة.

تصنيف علم الآثار

يُعدُّ علم الآثار في القارة الأمريكية، فرعًا من علم الإنسان (الأنثروبولوجيا) وهي دراسة الجنس البشري وتراثه الفكري والمادي. ويرى علماء الآثار في أوروبا أن عملهم هذا يرتبط ارتباطًا وثيقًا بميدان علم التاريخ، غير أن علم الآثار يختلف عن علم التاريخ من جهة أن المؤرخين يدرسون، بصورة رئيسية مسيرة الشعوب استنادًا إلى السجلات او المخطوطات المكتوبةبينما يعتمد علماء الاثار على علم التنقيب والتحليل المختبري ودراسة النقوش القديمة وعلم اللغات القديمة ويجب ان يكون الاثاري ملما في علم صيانة المعادن والاحجار والهندسة المعمارية , ويطوِّر آثاريون آخرون نظريات تتعلق بالأسباب التي حدت بالناس لبناء المدن وإقامة الطرق التجارية. وبالإضافة إلى ذلك يبحث بعض علماء الآثار عن الأسباب الكامنة وراء قيام وانهيار الحضارات المدنيات السابقة، كحضارة سومر وبابل في العراق والحضارة الرومانية ، والحضارة الاسلامية .

مواد علم الآثار والدليل الأثري

يدرس علماء الآثار أي دليل يمكن أن يساعدهم على فهم حياة الناس الذين عاشوا في الأزمنة القديمة منذ فجر الإنسان الأول وإلى فترتنا التي نعيش(العالم المعاصر). وتتراوح الأدلة الأثرية بين بقايا مدينة كبيرة، وبعض قطع الحجارة، التي تدل على صناع الأدوات الحجرية منذ أزمان بعيدة.ويمكن ذكرالأنواع الأساسية للدليل الأثري وهي

اللقى المصنوعة المنقولة

أو المعثورات المصنوعة، هي المواد التي صنعها الإنسان ويمكن أن تنقل من مكان إلى آخر دون إحداث تغيير على مظهرها. وهي تشتمل على مواد مثل المشغولات الحجرية كالنّصال والآواني ومشغولات الزينة كالخرز. كما يمكن أن تشتمل . بالنسبة إلى مجتمع ذي تاريخ مكتوب . على الألواح الطينية وعلى سجلات أخرى مكتوبة

اللقى المصنوعة الثابتة .

تتألف بصورة رئيسية، من البيوت والحُفر والمقابر وقنوات الري، ومنشآت عديدة أخرى، قامت ببنائها الشعوب القديمة. وخلافًا للأدوات، فإنه لا يمكن فصلا للقى الثابتة (الظواهر) عن محيطها، دون أن يحدث تغيير في شكلها.

اللقى الطبيعية

هي المواد الطبيعية التي توجد جنبًا إلى جنب مع الأدوات والمصنوعات الثابتة. وتكشف هذه المعثورات طريقة تفاعل الناس في العصور القديمة مع محيطهم. وتشتمل اللقى الطبيعية . على سبيل المثال . على البذور وعظام الحيوانات.

الموقع الأثري .

هو المكان الذي يضم الدليل الأثري. ولفهم سلوك الناس الذين شغلوا موقعًا أثريًا، لابدّ من دراسة العلاقات بين الأدوات المصنوعة والعمائر واللقى الطبيعية، التي اكتشفت في ذلك الموقع الأثري. فمثلاً اكتشاف رؤوس رماح حجرية قرب عظام نوع من الجواميس المنقرضة في موقع ما في

ولاية نيو مكسيكو، يبين أن تلك الجماعات البشرية المبكرة، كانت تصطاد الجواميس في تلك المنطقة.

جمع المعلومات الأثرية

يستخدم علماء الآثار تقنيات ووسائل خاصة لجمع الدليل الآثاري جمعًا دقيقًا ومنهجيًا، ويحتفظون بسجلات تفصيلية عن المعثورات الأثرية، لأن التَّنقيب الآثاري المفصل يتلف البقايا الأثرية موضع البحث.

تحديد الموقع

تحديد الموقع الأثري هو الخطوة الأولى، التي يجب على عالم الآثار القيام بها. وربما تكون المواقع الأثرية موجودة فوق سطح الأرض، كما قد تكون تحت سطح الأرض، أو تحت الماء. وتشتمل المواقع الموجودة تحت الماء على سفن غارقة، أو مدن بأكملها غمرتها المياه نتيجة تغيرات طرأت على سطح الأرض أو على مستوى الماء. وقد يتم تحديد بعض المواقع الأثرية بسهولة، لأنها تُشاهَد بالعين المجردة، أو يمكن تعقب أثرها من خلال الأوصاف التي وردت عنها في المرويات القديمة، أو السجلات التاريخية الأخرى. وهناك مواقع أثرية، أقل وضوحًا قد تكتشف بالصدفة .

مسح المنطقة

يستخدم علماء الآثار مناهج علمية للعثور على المواقع الأثرية. والطريقة التقليدية لاكتشاف جميع المواقع الأثرية في منطقة ما، تتم من خلال المسح سيرًا على الأقدام. بحيث يتباعد الآثاريون بعضهم عن بعض بمسافات معينة، ويسيرون في اتجاهات مرسومة. وكان كل فرد يبحث عن الدليل الآثاري، وهو سائر إلى الأمام. ويستخدم الآثاريون هذه الطريقة عندما يرغبون في تمييز المنطقة، التي تضم مواقع أثرية عن تلك التي لا يوجد فيها مثل هذه المواقع. فمثلاً يمكنهم استخدام هذه الطريقة، للتأكد من أن المواقع الأثرية لمنطقة معينة موجودة في قمم التلال وليس في الوديان. ويتَّبع علماء الآثار طرقًا علمية للمساعدة على كشف المواقع الأثرية الموجودة تحت السطح. فالتصوير الجوي، مثلاً، يُظهر اختلافات في نمو النباتات التي تشير بدورها إلى وجود دليل آثاري. فالنباتات الأطول في بقعة من الحقل قد تكون مزروعة فوق قبر قديم، أو فوق

قناة للري. أما النباتات الأقصر الموجودة في بقعة أخرى من الحقل، فقد تكون مزروعة في أرض ضحلة فوق عمارة قديمة أو طريق. وبالإضافة إلى ذلك تستخدم كواشف معدنية، لمعرفة ما إذا كانت هناك أدوات معدنية، سبق أن دُفنت في الأرض على عمق لا يزيد على ١٨٠سم.

مسح الموقع

أول مرحلة من مراحل الدراسة لموقع ما، هي وصف هذا الموقع. فيسجل هؤلاء ملاحظات تفصيلية حول مكان الموقع، ونوع الدليل الآثاري الشاخص على سطحه. كما يلتقطون صورًا لهذا الموقع. ويقوم الآثاريون برسم خرائط لمعظم المواقع الأثرية التي يتم اكتشافها. ويعتمد نوع الخريطة المرسومة على أهمية الموقع وأهداف الدراسة ومقدار الوقت والمال المتوافرين. ويَعْمد هؤلاء, في بعض الأحيان , إلى رسم خرائط مبسطة بعد أن تتم عملية قياس الأبعاد، سواء بالخطوات أو باستخدام شريط القياس. وتستخدم في حالات أخرى، أدوات خاصة لمسح الموقع الأثري بعناية، ولرسم خرائط تفصيلية له. وبعد رسم الخريطة يجمع العلماء بعض الملتقطات الموجودة على سطح الموقع الأثري. ثم يقومون بتقسيم السطح إلى مربعات صغيرة، ودراسة كل مربع على حدة. وبعد ذلك يسجلون على الخريطة المواضع التي وجدت فيها الأدوات. ويمكن أن تُقدِّم لنا أماكن الملتقَطات السطحية معلومات عن زمان وكيفية استخدام الموقع. هنالك مجموعة من الطرق المستخدمة في المسح الاثري منها: طريقة المسح السيزمي (المسح بالموجات الزلزالية).

تنقيب الموقع

ينقب علماء الاثار بحذر بحثًا عن المواد المدفونة في عملية تدعى بالتنقيب الآثاري، وتعتمد طريقة التنقيب الآثاري جزئيًا على نوع الموقع. فمثلاً يمكن للآثاريين الذين يعملون في كهف، أن يُقسِّموا أرضية الكهف والبقعة الموجودة أمامه إلى وحدات على شكل مربعات صغيرة. ومن ثم ينقبون في كل وحدة على انفراد. وقد يحفر الآثاريون، الذين يعملون في رصيف معبد، خندقًا أمام الرصيف، ومن ثم يمدون الخندق نحو الأرض المجاورة للرصيف. وفي المواقع الكبيرة يمكن حصر التنقيب في أجزاء معينة من الموقع، كما أن هناك اعتبارات أخرى تقرر في الأغلب منهج التنقيب الآثاري، مثل المناخ وتربة الموقع. وتتباين الأدوات التي تستخدم في الحفريات بين

الجرَّارات والآليات الثقيلة الأخرى والمحافير الصغيرة والفُرش. وفي بعض الحالات يقوم الآثاري بغربلة التربة للحصول على اللقى الصغيرة. وفي حالات أخرى يقوم بتحليل التربة في المختبر، لاكتشاف البذور وحبوب اللقاح أو أية تحولات كيميائية، نتجت عن المخلفات البشرية.

التوثيق

تسجيل الدليل الآثاري والاحتفاظ به من أهم مراحل العمل حيث يقوم الآثارين بوصف وتصوير وإحصاء اللقى. ثم يقومون بتصنيفها إلى مجموعات وفقًا لأنواعها ومواقعها. فمثلاً يُحتفظ بالقطع الفخارية، التي تسمى أحيانًا الفِلَق أو الكِسَر الخزفية، من كل وحدة من وحدات التنقيب، ومن كل طبقة فيها، في مجموعات منفصلة، ثم تنقل إلى المختبر الميداني، لتنظف وتدوَّن عليها المعلومات الخاصة بالوحدة والطبقة التي جاءت منها. ويجب أن تبذل عناية فائقة، في المختبر الميداني، للمحافظة على الأشياء المصنوعة من مواد كالمعدن والخشب. فمثلاً المواد الخشبية المشبعة بالماء، قد تتشقق أو تفقد شكلها عندما تتعرض للهواء، ولذلك يجب الاحتفاظ بها رطبة إلى حين يتمكن الاختصاصيون من صيانتها .

فروع علم الآثار

ويعتبر علم الآثار علما واسعا وتخصصاته متداخلة ومتشابكة بدرجة وكان المفتاح ا لمعرفي هو الأحافير Fossils التي يطلق عليها متحجرات أومستحثات أو حفائر . والأحفورة بقايا حيوان أو نبات محفوظة في الصخور أو مطمورة تحت التربة .او متحجرات تحجرت وتحولت الي أحجار بعد تحللها خلال الأحقاب الزمنية المتلاحقة.. ويطلق علي علم الحفائر للإتسان والحيوان باليونتولوجي حيث الحفائر تظهر لنا أشكال الحياة بالأزمنة السحيقة, وظروف معيشتها وحفظها خلال الحقب الجيولوجية المختلفة .ومعظم الحفائر للحيوانات والنباتات عاشت في الماء أو دفنت في الرمل أو الجليد . ويعتبر الفحم الحجري حفائر للنباتات المتحجرة .

لكن الأسماك عادة لاتصبح حفائر , لأنها عندما تموت وتكون صيدا للأسماك الأخرى . و هذا ما يجعل حفائر الأسماك نادرة فقد تظهر علي الشواطيء نتيجة الجزر والمد.

لا يبقي من الأسماك سوي الهيكل العظمي والأسنان وعظام الرأس . والإنسان والحيوانات لا يبقي منهم سوي العظام والأسنان والجماجم .. وقد تبقي لمدة ملايين السنين كالماموث المنقرض

والفيلة التي عثر علي هياكلها بضفة نهر التيمس . وقد تترك النباتات والحيوانات الرخوة بصماتها كالأعشاب والرخويات.

وقد تحتفظ الثمار والبذور وحبوب اللقاح بهيئتها كثمار البلح التي وجدت في الطين بلندن . وأوراق النباتات قد تترك بصمات شكلها وعروقها مطبوعة , لو سقطت فوق الطين الذي يجف بعدها . ووجدت متحجرات في حمم البراكين أو في الصخور أو تحت طبقات الجبال والتلال والجليد . ومن الأحافير يمكن تحديد أصول وعمر الإ نسان والحيوان والنبات خلال الحقب التاريخية والجيولوجية التي تعاقبت فوق الأرض . وظهر علم الإكنولوجيا Ichonology وهو علم جيولوجي يهتم بدراسة آثار الأحياء في الرسوبيات , وأي مجموعة أثرية في التكوينات الجيولوجية المختلفة .وهناك علم الآثار الحيوية القديمةPalichonology .وهو فرع من علم الحفريات .ويهتم بدراسة الآثار الإحيائية الحفرية .

وعلم إبيجرافيا Epigraphia .وهو علم دراسة الآثار من خلال المباني والعملة والتماثيل والأواني والأدوات التي خلفها الأولون.وعلم إستراتوجرافي Stratography ,وهو علم طبقات الأرض وعلاقة كل طبقة ببعضها من حيث موقعها وعمرها الجيولوجي وتركيبها وحفرياتها وحفائرها

و علم الآثار هو دراسة علميّة لآثار الحضارة الإنسانيّة القديمة، ويشتمل هذا العلم على دراسة جميع الأمور المتعلّقة بالحضارات القديمة، كتاريخ القبائل والشعوب القديمة، وكلّ ما يتعلق بها من مخلفات، حيث تعتمد تلك الدراسات على المخلفات من مبانٍ، وعمائر، وقطع فنيّة، وأدوات كالفخار، وتعتمد أيضاً على القبور والعظام، والحلى التي يتمّ العثور عليها في بعض القبور ومخلفات المعابد. أهمّية علم الآثار تسهم دراسة علم الآثار بأدق تفاصيلها في الكشف عن جوانب كثيرة من حياة الشعوب قديماً، وتوثيق العديد من الإنجازات لتلك الأمم، وإيجاد أوجه الشبه بين حياة تلك الشعوب قديما والحياة في الوقت الحالي، والمساهمة في رسم صورة تقريبيّة عن حياة تلك المجتمعات الغابرة، وهذه العلم هو السبيل الوحيد للتعرّف على الأمم التي عاشت قبل اختراع الكتابة. يعدّ علم الآثار في أميركا فرعاً من علوم الأنتروبيولوجيا، وهو العلم المختص بدراسة الجنس البشريّ وتراثه الماديّ والفكري، حيث يرى علماء الآثار الأوروبيين بأنّ عملهم يرتبط ارتباطاً وثيقاً بالتاريخ، حيث إنّ المؤرّخين يقومون بدراسة مسيرة الشعوب مستندين في دراستهم للسجلات المكتوبة، أمّا علماء الآثار فإنّهم يتطلّعون إلى معرفة الكيفيّة التي ساهمت

بتطوّر تلك الحضارات القديمة، والتوصّل لمعرفة الزمان والمكان لحدوث هذا التطوّر، والأسباب التي أدّت الى حدوث هذا التطوّر، من ما يظهر الرابط الذي يربط علم الآثار بعلم الاجتماع، هذا بالإضافة لسعي علم الآثار للبحث في أسباب سقوط الحضارات والإمبراطوريّات القديمة، والأسباب الكامنة وراء ههذا السقوط، كسقوط الحضارة الرومانيّة، وحضارة المايا. أدلة علماء الآثار يعتمد علماء الآثار في دراستهم على الآثار المتبقية من الإنسان منذ فجر التاريخ، حتى الإنسان المعاصر، وتلك الأدلة تتراوح بين قطع حجرية وبقايا مدن كبيرة، وتتنوّع الأدلة حيث صنفت كما يلي: اللقى المنقولة: هي عبارة عن مواد من صنع الإنسان يمكن نقلها من مكان لآخر، دون حدوث أي تغيير يذكر على شكلها أو صفاتها، كالأواني وأدوات الزينة والخرز، والصناعات الحجريّة، وأيضا يمكن أن تكون على شكل ألواحٍ حجريّة أو سجلات مكتوبة. اللقى غير المنقولة: هي التي تتكوّن من البيوت، والمقابر، والحفر، وقنوات الري وغيرها من الصناعات الثابتة والتي لا يمكن نقلها أو فصلها عن محيطها؛ لأنّه سيحدث تغيير على شكلها إن تمّ نقلها. اللقى الطبيعيّة: هي موادّ طبيعيّة موجودة جنباً إلى جنب مع اللقى الثابتة، وتشتمل هذه اللقى على عظام الحيوانات وبعض أنواع الحبوب